

متابعات مجلة آداب
"السودان"
تأليف سير هارولد ماكمايكل
ترجمة
محمود صالح عثمان صالح¹
عرض فدوى عبد الرحمن علي طه

عمل السير هارولد ماكمايكل في خدمة السودان السياسية لفترة طويلة امتدت بين 1905-1934. وتسنقل خلال هذه الفترة الطويلة بين كردفان والنيل الأزرق والبحر الأحمر ودارفور. والخرطوم وأصبح السكرتير الإداري في 1926 إلى تقاعده عن خدمة حكومة السودان.
يأتي كتاب "السودان" من ضمن عدد من الكتب التي ألفها ماكمايكل عن السودان² صدر باللغة الإنجليزية عام 1954 وصدرت النسخة المترجمة في أكتوبر 2006. وتبدأ النسخة المترجمة بمقدمة المترجم التي جاءت بسيرة موجزة لماكمايكل ووصف لمحتويات الكتاب المترجم.
والكتاب كما وصفه المترجم يتكون من ثلاثة أقسام: القسم الأول عبارة عن سرد تاريخي وجغرافي مختصر للسودان وأهله بأسلوب روائي أدبي رفيع.

¹ راعى مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان ، ومما تجدر الإشارة إليه أن المركز تحت رعاية الأستاذ محمود صالح يقوم بأعمال ترجمة مهمة أنجز منها على سبيل المثال الوثائق البريطانية عن السودان 1940-1956 و"أفكار وآراء عن السودان ترجمة لكتاب "Khartoum Perspectives"
² نذكر على سبيل المثال لا الحصر "قبائل شمال ووسط كردفان" "تاريخ العرب في السودان" و"قبائل شمال ووسط كردفان".

أما القسم الثاني وهو الأهم في نظر المترجم، يتعلق بكل الإنجازات التي حققها البريطانيون في السودان. يورد ماكمايكل في هذا الجزء كل ما تم في مجال البناء والتعمير والري والزراعة والتعليم والصحة والإدارة والاقتصاد، وتطور المؤسسات الدستورية وخلافه. ويلفت ماكمايكل النظر دائماً إلى أنه ما من عمل أنجز إلا سبقته الدراسة المتأنية والتمحيص واستشارة كل الأطراف داخل السودان وخارجه. وكل ما جاء ذكره في القسم الثاني مدعم بالأوراق ومثبت في التقارير والمستندات المحفوظة في دار الوثائق القومية. ويمكن الرجوع إليها لمن يرغب في أن يتحقق أو يزداد علماً.

أما القسم الثالث فقد خصصه ماكمايكل للمسائل السياسية وقسمه إلى ثلاث فترات حسب تواتر الأحداث، وختمه بفصل كامل عن دور مصر في الحكم الثنائي. ويرى المترجم أن هذا القسم من ناحية سياسية هو الأمتع لأنه يروي كيف تسببت الأحداث الداخلية والمؤثرات الخارجية والصراع المصري - البريطاني في تمكين السودان من الوصول إلى مرحلة الحكم الذاتي ومن ثم تقرير مصيره والذي تم بعد عامين كاملين من إنهاء ماكمايكل لكتابه هذا.

ينتقد المترجم ماكمايكل في بعض ما ذكره مثلاً مذكرته لمديري المديرية في 12 أكتوبر 1924 عن حرمان متعلمي السودان من المشاركة في إدارة بلادهم. وسياسته نحو جنوب السودان التي كانت ببساطة "ترك الجنوب كما هو". وبينما يذكر ماكمايكل الشماليين بخطاياهم تجاه الجنوبيين يغفل خطايا الأوربيين عموماً والبريطانيين تحديداً فيما يتعلق بالرق. وعن حديث ماكمايكل في آخر فصل من الكتاب "إن السوق للبلاد القاحلة لتعميرها ولتقوم الاعوجاج واستبدال الفوضى بالنظام، هي العوامل التي ساعدتنا في التفوق على القوى الأخرى" يعلق المترجم لماذا لم يعمر جنوب السودان أو يقوموا اعوجاجه.

يذكر المترجم تخصيص ماكمايكل لفصل كامل عن دور مصر وهجومه على مصر والمصريين هجوماً عنيفاً. ويقول المترجم إن الكثيرين في مصر من أمثال الأستاذ

محمد حسنين هيكل والأستاذ يونان لبيب رزق والأستاذ جلال أحمد أمين والأستاذ
حسن نافعة ممن يملكون المصادر أو يعرفون مظان وجودها وهم أقدر على الدفاع عن
مصر وليتهم يفعلون.